تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم
دراسة قرآنية تربوية

د. عماد عبد الله الشريفين * د. يحيى ضاحي شطناوي ** د. زكريا علي الخضر ***

تاريخ وصول البحث: ٢٠٠٩/١٠/٤م تاريخ قبول البحث: ٢٠١١/١/١٧م

ملخص

تعديل سلوك الإنسان هدف من أهداف القرآن الكريم، بغرض تقويم حياته لينعم في الدارين، ولأجل ذلك كان إرسال الرسل- عليهم السلام .

وبما أن السلوك اللفظي أحد أنواع السلوك، فقد أولاه الشرع الحنيف عنايةً خاصةً؛ لما يترتب على اللفظ الصادر عن الإنسان من أمور قد تؤثر سلباً أو إيجاباً على مجريات الأمور.

وجاءت هذه الدراسة بهدف إلقاء الضوء على أسلوب القرآن الكريم في تعديل السلوك اللفظي، وقد خلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم استخدم عدة أساليب، مثل:الأسلوب المباشر، ومبادلة الألفاظ، والنهي عن ألفاظ بعينها، ثم عرّجت على الفئات التي يتناولها ذلك التعديل، ووقفت على أهم أهداف التعديل.

Abstract

One of the most important aims of the Holy Qur'an is to correct the conduct of the humans. So, Allah has sent the messengers and reveals the holy speech in order to help people live happily in this life and in the Hereafter.

Since the oral conduct is an important kind of conduct, the merciful religion, Islam, highlights its position and importance because it has very important roles resulting in either good or bad effects on the life of the humanity.

Therefore, this study sheds light on the style used in the Holy Qur'an to correct this oral conduct by giving the addressees the right utterances or expression and the right usage as well. In addition, this study shows that the Holy Qur'an uses different ways to correct the wrong.

Utterances, such as using the direct way. (recorrection or modification) exchanging the utterances and forbidding or inhibiting specific ones. Moreover, this study explains the supreme aims of this correction and the class of people the utterances and forbidding or inhibiting specific ones, Moreover this study explains the supreme aims of this correction and the class of people whom this correction addresses.

المقدمة:

القرآن الكريم كتاب الله ﷻ أنزله ليهدي البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور، يقول سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء: ٩].

وقد توجه المسلمون إلى القرآن الكريم منذ عصر النبوة وحفظوه في الصدور والسطور، وفي عصرنا الحاضر توجه الاهتمام إلى ميادين أخرى، مثل: الكشف عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وكذلك الكشف عن مكنوناته التربوية والنفسية؛ لما يزخر به من قضايا وموضوعات متعددةفقد تضمن القر آن الكريم عدداً من الآيات التي تبين طبيعة الإنسان ووصفت أحواله، وكشفت عن أسباب انحرافه وطرائق تهذيبه وتربيته.

ومن أهم الموضوعات التربوية والنفسية التي عالجتها الآيات الكريمات: الألفاظ الصادرة عن الإنسان وكيفية تغييرها، وهذا ما يعرف بعلم النفس الحديث بتعديل السلوك اللفظي، حيث أخذ حيزاً واسعاً في الدراسات النفسية الحديثة؛ فقد تم بحثه من جميع جوانبه تعريفاً

* أستاذ مساعد، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
** أستاذ مشارك، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
*** أستاذ مساعد، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.

وبياناً للأهداف، وتوضيحاً للوسائل والأساليب المستخدمة، لذا تأتي هذه الدراسة بهدف بيان الرؤية القرآنية لموضوع تعديل السلوك اللفظي.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

يحاول بعض الباحثين أن يقرر أن السلوك غريزي فطري في الإنسان لا يمكن تعديله، وذلك لتسويغ كل عمل يقوم به ذلك الإنسان، وهذا يؤدي بطريق غير مباشر إلى إلغاء التكليف، وأن الإنسان مسيّر، الأمر الذي يتعارض مع تكليف الله تعالى للإنسان، فكان من الأهمية بمكان بيان خطأ هذا القول، وبيان الصواب وفق دراسة قرآنية تربوية تكشف أن السلوك الإنساني يمكن تعديله، وذلك من خلال معالجة موضوع السلوك اللفظي الصادر عن الإنسان.

وعليه تحاول الدراسة الإجابة على الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم تعديل السلوك اللفظي؟
٢. ما مشروعية تعديل السلوك؟
٣. ما الفئات التي تناولها تعديل السلوك؟ وما أهم أهداف التعديل كما بينها القرآن الكريم؟
٤. ما الأساليب المستخدمة في القرآن الكريم لتعديل السلوك اللفظي؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان مفهوم تعديل السلوك اللفظي.
٢. الكشف عن مشروعية تعديل السلوك بشكل عام.
٣. الكشف عن الفئات التي تناولها تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم.
٤. بيان أهم أهداف تعديل السلوك اللفظي كما بينها القرآن الكريم.
٥. الكشف عن الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لتعديل السلوك اللفظي.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، ويتمثل بالنقاط الآتية:

أولاً : بيان مفاهيم الدراسة وتوضيحها توضيحاً دقيقاً.
ثانياً: استقراء النصوص المتعلقة بالألفاظ – موضوع الدراسة في القرآن الكريم وجمعها.
ثالثاً: تحليل النصوص للوقوف على الأساليب المستخدمة في التعديل.

خطة الدراسة:

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وأسئلة الدراسة وأهدافها، ومنهج الدراسة وخطة البحث.
المبحث الأول: الأطر التمهيدية للدراسة، ويشمل: مفهوم تعديل السلوك اللفظي، ومشروعية تعديل السلوك، والفئات التي تناولها تعديل السلوك، وأهم أهداف التعديل.
المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم في تعديل السلوك اللفظي وتشمل: الأسلوب المباشر، والتنبيه على ألفاظ لا ينبغي استخدامها، ومبادلة الألفاظ.
الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

المبحث الأول
الأطر التمهيدية للدراسة

ويشمل مفهوم تعديل السلوك اللفظي، ومشروعية تعديل السلوك، والفئات التي تناولها تعديل السلوك، وأهم أهداف التعديل

المطلب الأول: مفهوم تعديل السلوك اللفظي:

الفرع الأول: السلوك لغةً واصطلاحاً :

السلوك لغةً: الأصل الثلاثي للسلوك هو: "سَلَكَ" الذي يعني: "الإدخال في الشيء، فأدخلته في الشيء تعني سلكته فيه، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[الحجر: ١٢] أي أدخلناه في قلوبهم"[(١)]. وفي لسان العرب: "أسلكته فيه، والله يسلك الكفار في جهنم، أي: يدخلهم فيها، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٢١]. أي: أدخله ينابيع الأرض ...، يقال: سلكت الخيط في المخيط، أي: أدخلته فيه، والمسلك هو الطريق"[(٢)]. ويرد السلوك أيضاً بمعنى الاستقامة "والسُلكى: الطعنة المستقيمة

والأمر المستقيم"[٣]، ويلاحظ المتأمل أن معاني السلوك في اللغة دارت حول الدخول عموماً، وربما أفادت الاستقامة في الأمر كذلك.

السلوك اصطلاحاً: يشير مصطلح السلوك إلى تصرفات الكائنات الحية وبخاصة الإنسان والحيوان، ويعرّف السلوك بأنه" أخلاق الفرد وتعامله مع الآخرين، ويتأتى هذا الفهم من استخدام كلمة السلوك في الحياة اليومية فنقول: فلان حسن السلوك"[٤].

ويُعرّف السلوك من وجهة نظر أخرى بأنه: "كل ما يقوم به الفرد ويظهر للآخرين، وهو تعريف غير وافٍ أيضاً؛ لأنه لا يتضمن السلوك المضمر"[٥]، ويعرف السلوك كذلك بأنه: "ذلك النشاط الإنساني الذي يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو عمل سواء أكان إرادياً أم غير إرادي، ظاهراً أم باطناً"[٦].

ويعرف السلوك بأنه "مجموع أفعال الإنسان التي تتغير بتغير الأحوال والدواعي، وتختلف باختلاف الأشخاص، وقوة إرادتهم، ودرجة تعقلهم، فكل فرد يسلك سلوكه مدفوعاً بمحرك خلقي قاصداً أمراً مرغوباً فيه، وبذلك يختلف عن الحيوان الذي يتحرك بمحض الغريزة والشهوة"[٧].

يستخلص مما سبق، أن السلوك الإنساني هو: كل ما يصدر عن الإنسان من أنماط النشاط، وهذا من حيث عموم السلوك، أما السلوك في المنظور الإسلامي، فليس هناك تعريف مباشر له، إذ يُعبر عن السلوك في القرآن الكريم بمصطلح العمل، وهي كلمة تقابل كلمة السلوك في علم النفس، بحيث يقابل "العمل الصالح" السلوك المرغوب فيه، والعمل السيئ غير الصالح"، السلوك غير المرغوب فيه[٨].

إن السلوك هو سيرة الإنسان ومذهبه في الحياة، و"السلوك عند الصوفية هو: الطريق لمعرفة الله ﷻ، بالرياضة والمشي على المقامات، بحال السالك لا بعلمه وتصوره"[٩].

ومن هنا يمكن تعريف السلوك من المنظور التربوي الإسلامي بأنه: النشاط الإنساني الذي يوافق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، سواء ألاحظ الآخرون هذا النشاط أم لم يلاحظوا، وقد يلاحظه الإنسان نفسه أثناء حياته.

الفرع الثاني: اللفظ في اللغة والاصطلاح:

"لَفَظَ الرجل: مات، ولفظ بالشيء يلفظ لفظاً: تكلم، وفي﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨]. ولفظت بالكلام وتلفظت به؛ أي: تكلمت به"[١٠].

والسلوك اللفظي: "التعبير عن فكرة تجول بخاطر الشخص باللغة أو النطق"[١١].

ويمكن القول:إن السلوك اللفظي، ما يصدر عن الإنسان من كلام مفهوم أو غير مفهوم يعبر فيه عن فكرة أو موقف ما.

الفرع الثالث: مفهوم تعديل السلوك اللفظي:

التعديل لغةً: ورد في لسان العرب: "عدّل الشيء، أي: وازنه، وتعديل الشيء تقويمه، وقيل:العدل تقويمك الشيء بالشيء من غير جنسه حتى تجعل له مِثْلاً، وعدّلتُه، أي إذا أقمته فاعتدل، أي استقام، وقيل عدّلك، أي قوّمك وجعلك معتدلاً"[١٢]، وورد في تاج اللغة أن "تعديل الشيء يعني: تقويمه، يقال: عدّلته فاعتدل، أي قوّمته فاستقام"[١٣].

تعديل السلوك اصطلاحاً: إن تقديم تعريف لتعديل السلوك ليس أمراً سهلاً أو يسيراً، بل هو من أصعب الأمور التي تواجه علماء النفس، و الحقيقة أن هناك تعارضاً في الآراء حول ماهية تعديل السلوك، فليس الأمر مستقراً على تعريف واحد للمصطلح؛إذ إن هناك تعاريف عديدة متنوعة، أدت إلى جدل ليس على الصعيد النظري فحسب، بل على الصعيد التطبيقي كذلك[١٤]، ولعلماء النفس تعريفات عدة لتعديل السلوك منها:

أنه: "مصطلح ذو مدلول واسع يشير إلى ذاك الميدان الذي يستمد أساليبه من البحوث المتصلة بسيكولوجية التعليم بخاصة"[١٥]، ويعرف بأنه: "محاولة تغيير السلوك الإنساني وفق نظرية التعلم"[١٦]، ويعرف بأنه: "العلم الذي يشتمل على التطبيق المنظم للأساليب التي انبثقت

عن القوانين السلوكية، وذلك بغية إحداث تغيير ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ومفيد في السلوك الأكاديمي، والاجتماعي، وهذا العلم يشتمل على تقديم الأدلة التجريبية التي توضح مسؤولية الأساليب التي تم استخدامها في التغيير الذي حدث في السلوك"[١٧].

والإصلاح هنا يعني القيام بمهمة تعديل السلوك، فالله ﷻ أرسل الرسل للقيام بمهام، منها تعديل سلوك البشر نحو السلوك الذي يريده الخالق ﷻ قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقد أشار الرسول- عليه الصلاة والسلام ، إلى أن المربي يستطيع بأساليب تربوية إكساب الفرد السلوك المطلوب، وتعديل سلوكه نحو الأفضل، حيث قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"[١٨].

وعليه فإن تعديل السلوك اللفظي هو: إحداث تغيير هادف فيما يصدر عن الإنسان من كلام وفق مرجعية خاصة، ويكون التغيير إما بالتعليم المباشر، أو التنبيه على ألفاظ، أو مبادلة ألفاظ مكان أخرى.

المطلب الثاني: مشروعية تعديل السلوك:

يُعدّ موضوع تعديل السلوك من أهم الموضوعات التي بحثتها نظريات علم النفس، حيث تدعي كل نظرية لنفسها القدرة على تعديل السلوك الإنساني، والواقع يشير بشكل واضح إلى أن هذه النظريات لم تصل إلى ما تدعيه من قدرة على تغيير السلوك؛ كون الأسس التي تقوم عليها هذه النظريات منقوصة بسبب ابتعادها عن منهج الحق ﷻ.

ولمّا كان الإنسان أساس الخطاب القرآني ومحوره يدور عليه القول، وترجع إليه معاني الآيات الكريمة، كان لا بد أن يعالج الخطاب القرآني أوضاعاً مختلفة للإنسان، منذ أن كان نطفة إلى أن يبعث ويحاسب بين يدي الله ﷻ.

إن إصلاح الإنسان في الإسلام يبدأ من العقيدة إلى جزئيات حياته المختلفة، لذا فقد أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام وكان آخرهم سيدنا محمد ﷺ وطلب إليه ولأمته استمرار الإصلاح، قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

وبناءً على ذلك فإن تعديل السلوك اللفظي هو: إحداث تغيير هادف فيما يصدر عن الإنسان من كلام وفق مرجعية خاصة، ويكون التغيير إما بالتعليم المباشر، أو التنبيه على ألفاظ، أو مبادلة ألفاظ مكان أخرى.

المطلب الثاني: مشروعية تعديل السلوك:

يُعدّ موضوع تعديل السلوك من أهم الموضوعات التي بحثتها نظريات علم النفس، حيث تدعي كل نظرية لنفسها القدرة على تعديل السلوك الإنساني، والواقع يشير بشكل واضح إلى أن هذه النظريات لم تصل إلى ما تدعيه من قدرة على تغيير السلوك؛ كون الأسس التي تقوم عليها هذه النظريات منقوصة بسبب ابتعادها عن منهج الحق ﷻ.

ولمّا كان الإنسان أساس الخطاب القرآني ومحوره يدور عليه القول، وترجع إليه معاني الآيات الكريمة، كان لا بد أن يعالج الخطاب القرآني أوضاعاً مختلفة للإنسان، منذ أن كان نطفة إلى أن يبعث ويحاسب بين يدي الله ﷻ.

إن إصلاح الإنسان في الإسلام يبدأ من العقيدة إلى جزئيات حياته المختلفة، لذا فقد أرسل الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام وكان آخرهم سيدنا محمد ﷺ وطلب إليه ولأمته استمرار الإصلاح، قال ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ

والإصلاح هنا يعني القيام بمهمة تعديل السلوك، فالله ﷻ أرسل الرسل للقيام بمهام، منها تعديل سلوك البشر نحو السلوك الذي يريده الخالق ﷻ قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وقد أشار الرسول- عليه الصلاة والسلام ، إلى أن المربي يستطيع بأساليب تربوية إكساب الفرد السلوك المطلوب، وتعديل سلوكه نحو الأفضل، حيث قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"[١٨].

وعليه، فالإسلام كله دعوة كاملة لتعديل سلوك الإنسان، واتجاهاته وأفكاره ومعتقداته وآرائه ونظرته إلى الحياة، ويلمس هذا الهدف العظيم في كثير من آيات القرآن الكريم، وفي كثير من الأحاديث الشريفة، فالإسلام غيّر السلوك من الوثنية إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الظلم والطغيان إلى العدل، ومن سلوك التمرد والعصيان إلى سلوك الطاعة والالتزام ...، ومن سلوك وأد البنات إلى حبّهن، لذا فإن الإسلام يعدل من سلوك الفرد، ويبني شخصيته على قيم الحق ومبادئ الخير[١٩]، بل يرسم بوضوح حاسم الطرق المثلى، والأسلوب الرشيد الآمن لإحداث تغيير في سلوك الإنسان لا شر فيه.

ويدرك الجميع أن ما قام به الرسول- عليه الصلاة والسلام من تغيير في سلوك الناس ما هو إلا عمل تربوي فريد على درجة من الدقة والتنظيم، فهو تغيير بأسلوب يقنع الإنسان، ويجعله مؤمناً باعتقاده والالتزام به في حياته، كما حدث للأعرابي الذي بال في ناحية المسجد، فمنع النبي ﷺ الصحابة من ضربه، ولما انتهى من بوله بين له الخطأ السلوكي الذي ارتكبه، فكان ذلك درساً سلوكياً حكيماً منه- عليه الصلاة والسلام ، عن

أنس بن مالك ﷺ قال: "بينما نحن في المسجد، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: مه مه، قال: قال رسول الله ﷺ: لا تزرموه دعوه فتركوه، ثم إن النبي ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر؛ إنما هي لذكر الله ﷻ والصلاة وقراءة القرآن، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماء فشنه عليه"(٢٠).

والمتأمل في كتاب الله، وسنة نبيه- عليه الصلاة والسلام- عند البحث عن أي علم نافع يلحظ فيه خطوطاً عريضة تحتاج إلى تأمل وتدبر، وإعمال فكر وبحث، وهذا ما ينطبق على مصطلح تعديل السلوك، فلم يرد على لسان الرسول- عليه الصلاة والسلام- ، أو من خلال قراءة القرآن الكريم هذا اللفظ، فإحداث تغيير في السلوك الإنساني أحد أهداف الشريعة الإسلامية، إذ قد ورد المصطلح بشرح غايته وهدفه ولم يرد هو بصورته اللفظية.

ومن هنا يبرز سؤال ملح: هل بالإمكان تغيير وتحويل الأخلاق السيئة إلى أخلاق حميدة؟وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الأخلاق الإسلامية وسط بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكاً، فوصفوا له من الأخلاق ما لا يمكن له تطبيقها، وبين غلاة الواقعيين الذين تخيلوا الإنسان حيواناً، فأرادوا له من الأخلاق ما لا يليق به(٢١)، لذا فالإنسان يترقى بخلقه السوي رقياً رفيعاً لوجود الإرادة التي تدفعه إلى ذلك، والواقع يؤيد هذا؛ فتربية الأخلاق والسمو بها، وكسب الفضائل والتحلي بالآداب الكريمة، والتخلي عن الأخلاق الرديئة يعبر عن روح التربية الإسلامية، فبلوغ الخلق الكامل هو الهدف والغرض للتربية الإيمانية.

يقول الرسول- عليه الصلاة والسلام- : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٢٢).وإتمام مكارم الأخلاق يفهم منه: الإبقاء على الحسن منها، وتعديل وتغيير السيئ منها.

ولفظ العمل في القرآن الكريم يقابله لفظ السلوك في علم النفس، وقد ورد في كتاب الله ﷻ أن الإنسان يستطيع أن يبدل عمله من عمل سيئ إلى عمل حسن، قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن السلوك الإنساني قابل للتشكيل والتعديل، ودليل ذلك فتح باب التوبة للنادمين، ومنح الفرصة للعاصين للعودة إلى شرع الله ﷻ، فإذا تاب الفرد وأقلع عن ذنوبه، وعقد العزم على عدم العودة إلى تلك الذنوب، وأصلح عمله في المستقبل، فإن باب الرحمة مفتوح له ولكل من أراد تغيير سلوكه(٢٣).

والتربية الإسلامية لا تسلّم بأن السلوك لا يقبل التغيير والتبديل، إذ لو سلّمت بهذا لبطل كثير من الأمور التي حث عليها الإسلام، مثل المواعظ وغيرها، التي لها تأثير واضح في سلوك الإنسان، وقد ورد في السنة الكريمة ما يؤكد أن السلوك قابل للتعديل والتغيير والتبديل، ومن ذلك قوله ﷺ: "إنما العلم بالتعلم"(٢٤).

المطلب الثالث: الفئات التي تناولها تعديل السلوك اللفظي، وأهم أهداف التعديل:

يلحظ المتأمل في آيات القرآن التي طلب فيها إحداث تغيير في اللفظ أمراً غاية في الأهمية؛ وهو أن هذه الآيات تخاطب في أغلبها فئة المكلفين، وفي مقدمتهم صاحب الرسالة سيدنا محمد ﷺ، يقول سبحانه: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: ٨٩]. وللمؤمنين، يقول سبحانه:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٠٤]، وكذلك وجه الخطاب للمنافقين أحياناً أخرى يقول سبحانه:﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾[محمد: ٢٠-٢١]، وهنا يثار السؤال الآتي: لماذا لم يركز الخطاب القرآني على تعديل ألفاظ المنافقين كما ركز على فئة

المؤمنين؟ وتكمن الإجابة في أمرين: الأول: أن الخطاب لم يوجه إلى أولئك الذين كفروا بالرسالة؛لأنهم بحاجة إلى أمر أعظم من تعديل الألفاظ، فهم بحاجة إلى تغيير في العقائد، ولا يمكن أن يكون الاهتمام بالجزئيات وهم قد تركوا الكليات، والثاني: أن الخطاب كان للمؤمنين بهدف إتمام النعمة والإيمان.

ومن أهم أهداف تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم:

+ **حسن الأدب مع النبي ﷺ:**

قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[البقرة: ١٠٤]، فقد أُمر المؤمنون باستخدام كلمة "انظرنا" كبديل لكلمة"راعنا"؛ لأنها موهمة وربما تعطي فهماً وغيراء صحيح، وهنا يوجه القرآن المؤمنين إلى ضرورة انتقاء الألفاظ النزيهة، والابتعاد عن الكلام الموهم واللفظ الذي يرمي إلى غرض غير صحيح؛ إذ ربما تُلقى بعض الألفاظ فتحمل على غير محملها الصحيح، وربما كان القصد وحده غير مجد في أمثال هذه الألفاظ، فمن أجل ذلك لا بد من التنبيه لطبيعة الكلمة قبل النطق بها، فكلمة (راعنا) إذا أطلقها المؤمنون عنوا بها خيراً، إذ هي كلمة ليس فيها ذم وقدح، لكن لأجل استعمالها عند اليهود حيث أرادوا بها معنىً فاسداً، أراد القرآن سداً للذريعة أن يختار المسلمون بديلاً أفضل لا يحتمل إلا الحسن، فقال:﴿**وَقُولُواْ انظُرْنَا**﴾[البقرة: ١٠٤] ويظهر بسبب النزول هذا المعنى جلياً، فقد "كان المسلمون إذا ألقي عليهم القرآن والشريعة يطلبون من النبي- عليه الصلاة والسلام- التأني حتى يفهموه فيقولون له: راعنا يا رسول الله؛ أي: لا تتحرج منا وارفق بنا، وكان المنافقون من اليهود يشتمون النبي- عليه الصلاة والسلام- في خلواتهم سراً، وكانت لهم كلمة بالعبرانية تشبه كلمة (راعنا) بالعربية، ومعناها في العبرانية سب، وقيل معناها: لا سمعت، فقال بعضهم لبعض: كنا نسب محمداً سراً فأعلنوا به الآن، أو قالوا هذا وأرادوا به اسم فاعل من رعن: إذا اتصف بالرعونة"[٢٥].

وقال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ**﴾[الحجرات: ٢]، حيث نهت الآية عن رفع الصوت في مقام النبي- عليه الصلاة والسلام- ، وهذا مقام في الأدب والتوجيه، لأن هذا نوع إيذاء لجنابه الشريف﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللّهِ**﴾[الأحزاب: ٣٥]، وجعل خفض الصوت والغض منه ترجمةً للاحترام والتقدير والتبجيل ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**﴾[الحجرات: ٣]. وجعل مناداة النبي- عليه الصلاة والسلام- باسمه دون لقبه علامةً على الجهل وعدم التعقل﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[الحجرات: ٤].

وعلى هذا فإن القرآن الكريم يوجه إلى المستوى الصوتي للكلمة، فهو لا يريد الصوت الناشز المرتفع في مقام الأدب والخطاب، بل يوجه للبديل وهو: الصوت المعتدل، وأن يختار المرء الألفاظ والألقاب الدالة على الاحترام والتبجيل وتقدير أصحابها التي تبرز فضلهم، وما أجمل الخطاب﴿**لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً**﴾[النور: ٦٣].

وقد جعل القرآن الكريم الخفض من الصوت علامةً على السلوك القويم الذي ينم عن شخصية سوية، وبين أن مراعاة الأدب في النطق مسؤولية ترفع من سوية الإنسان ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[لقمان: ١٩].

وهذه الآية تعطي توجيهاً وأدباً عميقاً في محتواه؛ إذ يؤخذ من مفهوم المخالفة أن الصوت الحسن غير المرتفع في العادة الجارية في النطق منظور إليه، وهو حد الاعتدال المنشود. قال النسفي: "وفي تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيه على أن رفع الصوت في غاية الكراهة"[٢٦].وقال الإمام الغزالي: "يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن"[٢٧]. وعلى هذا فليحرص الإنسان على تطييب كلامه ووزن صوته.

٢ الإرشاد إلى استخدام الألفاظ الدقيقة المعبرة عن الحقيقة:

قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٤].

٣ إتمام العبادة من دون نقص أو خلل:

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[البقرة: ١٩٧].

٤ حسن الخلق في التعامل مع الناس:

قال تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[الحج: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[الفرقان: ٦٣]، هذا بيان لسلوك لفظي مدحه الله- تعالى- لعباد الرحمن الذين يترفعون عن اللجاجة مع الجاهلين، ويردون عليهم بسلام المتاركة والترفع باللفظ عن الكلام الناشز النابي، وقد كان هذا خلق الأنبياء- عليهم السلام- وقد صدر عن سيدنا إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حيث قال الله -تعالى- عنه راداً على تهديد والده بالرجم إن لم ينته عن دعوته للتوحيد: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[مريم: ٤٧]، والتعبير بكلمة (سلاماً) يفيد التجدد والحدوث، على معنى أن هذا الموقف يكون منهم حيث يكون الخطاب الجاهلي بالخصومة واللجاجة، و(إذا) تفيد تحقق الوقوع، فهكذا حالهم وشأنهم، وليس هذا خلقاً طارئاً عليهم، بل يتجدد ليدل على تمكنهم منه، ومقتضى السلام هنا: المتاركة، فهذه رسالتهم الأخلاقية، وإذا كان هذا هو الشأن مع أهل الكفر والشرك فكيف بمعاملة المسلم لأخيه المسلم، وقد جاء في سورة القصص ما هو قريب من هذا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[القصص: ٥٥]، وهذا منتهى المتاركة والموادعة وضبط اللسان أمام التصرفات الجاهلة والمؤذية، ويُلاحظ هنا أن التعبير: "سلام عليكم" بالجملة الإسمية وهي تفيد الثبوت والاستمرار، على معنى أن هذا الإعراض عن الجهل والجاهلين مستمر مهما تنوع حال الجهل والجهلاء، ومهما كان شكل الموقف.

وقد أكدوا هذه المتاركة بتتمة الكلام (لا نبتغي الجاهلين)، إذ هذا "بيان للداعي للمتاركة والتوديع"[٢٨]. وقد أمر الله -تعالى- نبينا- عليه الصلاة والسلام- بهذا الخلق القويم، قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف: ٨٩].

٥ التمتع بالصحة النفسية:

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٥]، فقد رفع عنهم الإثم والقلق الناتجين عن اللغو في الأيمان.

٦ نشر الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

المبحث الثاني
أساليب القرآن الكريم في تعديل السلوك اللفظي

سلك القرآن الكريم أساليب عدة لتعديل السلوك اللفظي، منها: الأسلوب المباشر، والتنبيه على ألفاظ لا ينبغي استخدامها، ومبادلة الألفاظ.

المطلب الأول: الأسلوب المباشر:

وذلك بأن ينص القرآن صراحةً على وجوب أن يكون اللفظ الصادر من المكلف حسناً.

وجاء هذا الأسلوب في آيات كثيرة، وهذا ذكر لبعضها كنماذج تطبيقية.

١. قول الله -سبحانه-: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا

﴿...الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾[البقرة: ٨٣].

أمر الله تعالى بني إسرائيل بأن يكون خطابهم للناس بالحسنى، عن طريق التلفظ بالكلام الحسن، وهذا يشمل جميع المكلفين بأن يكون سلوكهم كذلك مع الناس جميعاً بلا استثناء، وهذا يقع في دائرة وسع المكلف واستطاعته بخلاف الإحسان الفعلي، الذي لا يستطيعه كل أحد، والأمر يقتضي أن يكون ما يضمره الشخص تجاه الآخرين فيه الخير لا يشوبه الشر؛ لأن القول يترجم ما في نفس الإنسان، وجاء تعليم الله تعالى لعباده بالدعاء بأن لا يجعل في قلوبهم غلاً للذين آمنوا، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحشر: ١٠].

وإذا حصل شيء من الكدر مع الآخرين، فإن القول الحسن يزيل ما في نفس القائل من ذلك الكدر ويحل محله الصفاء، وقد" شملت الآية الكريمة جميع آداب الدين والدنيا"[٢٩].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾[الإسراء: ٥٣].

فهو توجيه للسلوك اللفظي المطلوب، بأن يقولوا الكلمة التي هي أحسن من غيرها للطفها وحسنها "على وجه الإطلاق وفي كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه، وبذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيئ يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندّي جفافها وتجمعها على الود الكريم"[٣٠].

وهذا السلوك دائم في جميع الأحوال، وليس مجرد مقالة واحدة عابرة، على غرار قول الله سبحانه: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: ١٢٥].

قال ابن عاشور: "والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة وإلانة القول؛ لأن القول ينم عن المقاصد، بقرينة قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ ثم تأديبهم في مجادلة المشركين؛ اجتناباً لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلبهم، فذلك من نزغ الشيطان بينهم وبين عدوهم"[٣١].

إن الكلمة الطيبة تزيد في المودة التي بين المؤمنين، وتكسر حدة العداوة التي بينهم وبين أعدائهم، قال تعالى ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: ٣٤].

٢. ومن الآيات الكريمة التي أرشدت إلى تعديل السلوك اللفظي قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٦٣].

فعلى الرغم من أن أجر الصدقة عظيم جداً، إلا أنه إذا تبعها أي أذى للفقير، فلا داعي لها، إذ إن "القول المعروف والمغفرة في هذه الحالة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة: من تهذيب النفوس وتأليف القلوب"[٣٢].

و"تنكير "قول معروف" للتقليل، أي أقل معروف خير من صدقة يتبعها أذى"[٣٣]، وهذا يدل على أهمية اللفظ الحسن الذي يصدر من الشخص تجاه الآخرين، حيث إنه يتضمن إدخال السرور إلى قلوبهم دون أن يقترن به إضرار، فكان هذا خيراً من الصدقة التي يشوبها الإيذاء بسوء القول أو سوء المقابلة[٣٤].

٣. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣].

فهذا إرشاد إلى سلوك لفظي حين تضيق الأرض على الإنسان بما رحبت، وتتقطع كل السبل، فيلجأ إلى مسبب الأسباب ومن بيده مقاليد الأمور، بل إن إيمانه يزداد في ساعة الشدة، ويقول في مواجهة تخويف الناس: حسبنا الله ونعم الوكيل، وهي كلمة إذا صدرت من لسان صادق وقلب عارف، فلا تعدلها كلمة أخرى،

ولعظم هذه الكلمة فقد تكون ألهمت لهم أو تلقوها عن النبي ﷺ[٣٥].

قال الرازي: "والمراد أنهم كلما ازدادوا إيماناً في قلوبهم أظهروا ما يطابقه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل"[٣٦].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[التوبة: ٥٩].

وكذا قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٩].

والجامع بين الآيات الكريمة إرشادها للسلوك اللفظي الصحيح في ساعة الشدة أو ساعة المقابلة بين متاع الحياة الدنيا وما عند الله تعالى، فيلجأ المرء إلى الله وحده؛لأنه تعالى يكفي عبده.

٤. قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء: ٥].

وهذه آية كريمة ترشد إلى السلوك القولي المطلوب تجاه هذه الفئة، فيسلم إعطاؤهم للنفقة والكسوة من الأذى، فشأن من يخرج المال أن يستثقل من يطلبه في الغالب، فكيف إذا كان طالب المال سفيهاً؟ ومعلوم أن السفيه من عادته التوسع في المطالب، فربما صدر من جانب الولي كلمات تدل على الضجر، فلا جرم أن أُمر بالقول المعروف الذي يشمل كل قول فيه صلاح أمر السفيه[٣٧]، علماً بأن الإسلام لم يحرم السفيه من ماله مطلقاً، وإنما الأمر مرتبط بالسفه، ويشبه هذه الآية آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء: ٨].

فالقول المعروف هنا أمر مطلوب لجبر خاطر هذه الفئة لعدم أخذها شيئاً من الميراث، فالميراث له قسمة معروفة ومقدرة، فإذا فات البعض هذا الحق لعدم استحقاقه، فلا أقل من أن يحظى بالقول الحسن من باب التسلية[٣٨] وكم كلمة أحدثت فعلها في نفس الشخص وخرج راضياً على الرغم من عدم حصوله على شي من المال، والعكس كذلك، إذ ربما يخرج المرء منكسر النفس حزينا على الرغم من حصوله على المال لكونه سمع كلمة جارحة هنا، وهمزاً ولمزاً هناك.

ويدخل في السياق ذاته قول الحق ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الأنعام: ١٥٢].

إذ فيه إرشاد للشخص بأن يقول كلمة الحق والعدل، على هدى من الاعتصام بالله وحده، ومراقبة الله وحده، وبخاصة إذا كانت تلك الكلمة أمام القرابة الذين يضعف الإنسان أمامهم في موقف الشهادة لهم أو عليهم، فكان التعقيب: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ ومن عهد الله قوله الحق والعدل ولو كان ذا قربى[٣٩].

ولا يعني أن يقتصر الإنسان على قول كلمة الحق في الشهادة وحسب، بل يشمل جميع الأحوال، ويدخل فيه كل ما يتصل بالقول في الدعوة إلى الدين، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحكايات الرجل فلا يزيد فيها ولا ينقص عنها، وتبليغ الرسالات عن الناس إلى غير ذلك[٤٠].

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾: "وإذا قلتم قولاً تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتتكلمون به على المقالات والأحوال (فاعدلوا) في قولكم بمراعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام فيه أو في مقالته من الظلم المحرم، بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه، وذكر الفقهاء: أن القاضي يجب عليه العدل

بين الخصمين في لحظه ولفظه"(٤١).

وقال ابن عاشور في الآية الكريمة نفسها: "هذا جامع كل المعاملات بين الناس بواسطة الكلام وهي الشهادة والقضاء والتعديل والتجريح والمشاورة والصلح بين الناس، والأخبار المخبرة عن صفات الأشياء في المعاملات: من صفات المبيعات والمؤاجرات والعيوب وفي الوعود والوصايا والأيمان، وكذلك المدائح والشتائم كالقذف، فكل ذلك داخل فيما يصدر عن القول"(٤٢).

٥. قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠] وهذا إرشاد إلى سلوك لفظي يمنع تسرب وسوسة الشيطان إلى نفس الإنسان، فيلتجئ إلى الله تعالى ، ويعبر عن ذلك بالقول اللفظي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وهذا يحمي الشخص ويصرف عنه تأثير نزغ الشيطان بتزيين الشر(٤٣).

والالتجاء إلى الله –تعالى لا بد أن يكون باللسان والقلب، ولا يكتفى بالقول اللفظي والاقتصار عليه، قال الرازي: " قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يدل على أن الاستعاذة باللسان لا تفيد إلا إذا حضر في القلب العلم بمعنى الاستعاذة، فكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فإني سميع، واستحضر معاني الاستعاذة بعقلك وقلبك فإني عليم بما في ضميرك، وفي الحقيقة القول اللساني بدون المعارف القلبية عديم الفائدة والأثر"(٤٤)، ومثل هذه الآية قول الله- تبارك وتعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨].

٦. قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[النحل: ٣٠].

والآية الكريمة ترشد إلى السلوك اللفظي المطلوب من المتقين الذين يدركون أن الخير هو قوام هذه الدعوة، وقوام ما أنزل ربهم من أمر ونهي وتوجيه وتشريع، فيلخصون الأمر كله في كلمة: قالوا خيراً، وهو بيان موجز وجامع شامل لكل خير في الدنيا وكل خير في الآخرة(٤٥).

كما يدل الجواب خيراً" بالنصب" على أن المتقين لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا خيراً، أي أنزل خيراً(٤٦).

٧. قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾[الإسراء: ٢٣].

وهنا إرشاد لسلوك لفظي مع نوع خاص من الناس مع الوالدين إذ على الولد أن يكون تعامله في منتهى اللطف والأدب، وأول مراتب تلك الرعاية أن يكون كلامه حسناً طيباً، ولا يند منه ما يدل على الضجر والضيق(٤٧) حتى لو كانت كلمة يسيره مثل "أف".

ومثل التعامل مع الوالدين بالقول الطيب، ينبغي أن يكون التعامل ذاته مع الآخرين وبخاصة ذوي القربى والمساكين وابن السبيل، ولذا قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾[الإسراء: ٢٨].

"والقول الميسور: اللين الحسن المقبول عندهم، شبه المقبول بالميسور في قبول النفس إياه لأن غير المقبول عسير، أمر الله بإرفاق عدم الإعطاء لعدم الموجدة بقول لين حسن بالاعتذار والوعد عند الموجدة، لئلا يحمل الإعراض على قلة الاكتراث والشح"(٤٨).

٨. قوله تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[طه: ٤٣ ٤٤].

وهنا توجيه مباشر لسيدنا موسى وهارون –عليهما السلام ؛إذ هما سيريان من حدة فرعون وفساد مزاجه ما يتطلب ضبط الأعصاب وهدوء النفس، وهذا لا يكون إلا بلين الجانب وحسن الأناة، وعلى هذا فالتوجيه هنا فيه تثبيت لنفس النبيين الكريمين، وإرشاد قولي لمعالجة الموقف في طريق دعوة فرعون إلى الله –تعالى .

"والقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة، ومن شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان"(٤٩).

وهذا المنهج شعار الدعوة إلى الله -تعالى- حيث قال -سبحانه وتعالى-: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل: ١٢٥]، لأن "المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوى"(٥٠).

٩. قوله -تعالى-: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٩].

وهذا سلوك لفظي يعلمه الله -تعالى- لأحد أنبيائه، يقوله شكراً لله على نجاته، واللفظ عام يشمل كل أحد، ويكون على كل نعمة " فهكذا يحمد الله، وهكذا يتوجه إليه، وهكذا يوصف ﷻ بصفاته، ويعترف له بآياته، وهكذا يتأدب في حقه العباد، وفي طليعتهم النبيون، ليكونوا أسوة للآخرين"(٥١).

١٠. قوله -تعالى-: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[لقمان: ١٩].

وهذه الآية الكريمة ليس فيها تعديل للسلوك اللفظي بالمعنى المباشر، ولكنه إرشاد لأن يكون المسلم في أحسن صورة وأجملها، فيكون قوله معتدلاً أثناء الحديث، وهذا كمال الأدب والثقة بالنفس، بخلاف من يغلظ في الخطاب ويزعق.

"والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيئ الأدب، أو شاك في قيمة قوله أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق"(٥٢).

١١. قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾[محمد: ٢٠-٢١].

وهذه آية أخرى تحمل تعديلاً لفظياً لفئة أخرى من الناس، وهي فئة المنافقين، فترشدهم إلى السلوك الأمثل إذا أرادوا الانقياد لأوامر الله ورسوله، ويتمثل هذا في "طاعة تستسلم لأمر الله عن طمأنينة وتنهض بأمره عن ثقة، وقول معروف يشي بنظافة الحس واستقامة القلب وطهارة الضمير، وأولى لهم إذا عزم الأمر وجد الجد وواجهوا الجهاد أن يصدقوا الله، يصدقوه عزيمة ويصدقوه شعوراً، فيربط على قلوبهم، ويشد من عزائهم، ويثبت أقدامهم وييسر المشقة عليهم"(٥٣)، وهذا يدل على عظمة الإسلام الذي لم يغلق الأبواب حتى في وجه أولئك الماكرين بالإسلام وأهله، وفتح لهم باباً لتعديل سلوكهم ومنحهم فرصاً لا نجد لها نظيراً في قوانين البشر.

١٢. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[الحجرات: ٢].

وهذا توجيه لأدب الخطاب في النطق يتناول المؤمنين مع خير خلق الله تعالى محمد ﷺ وذلك بعدم رفع صوتهم في حضرته؛ " لأن رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام"(٥٤). والمطلوب خفض الصوت؛لأنه حد الاعتدال، والدليل على الاتزان في الشخصية والسلوك.

١٣. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢].

وهذه آية أخرى ترشد المؤمنين إلى السلوك اللفظي الصحيح بأن لا ينطقوا بالقول المنكر المتمثل في جعل الزوجة الحليلة كالأم المحرمة، وهو ما يسمى بالظهار.

"إن هذا الظهار قائم على غير أصل، فالزوجة ليست أماً حتى تكون محرمة كالأم، فالأم هي التي ولدت، ولا يمكن أن تستحيل الزوجة أماً بكلمة تقال، إنها كلمة منكرة ينكرها الواقع، وكلمة مزورة ينكرها الحق، والأمور في الحياة يجب أن تقوم على الحق والواقع، في وضوح وتحديد، فلا تختلط ذلك الاختلاط ولا تضطرب هذا الاضطراب"(٥٥).

أخرج الإمام أحمد عن عائشة -رضي الله عنها- "قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى آخر الآية"(٥٦).

قال ابن كثير: "وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش، عن تميم بن سلمة، عن عروة، عن عائشة، أنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ، وهي تقول: يا رسول الله، أَكَلَ شبابي، ونَثَرت له بطني، حتى إذا كَبُر سِنِّي، وانقطع ولدي، ظَاهَر مِنِّي، اللهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ وقال وزوجها أوس بن الصامت.

وقال ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة: هو أوس بن الصامت وكان أوس امرأ به لمم، فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته، وإذا ذهب لم يقل شيئًا. فأتت رسول الله تستفتيه في ذلك، وتشتكي إلى الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآية"(٥٧).

إنه في الحقيقة قولٌ منكر، لا ينبغي أن يصدر عن مؤمن، لأنه تزوير للحقيقة، والمؤمن الحق لا يزور الحقائق، وفي الوقت نفسه يراعي كل كلمة يقولها حتى لا يعرض نفسه للعقوبة في الدنيا والآخرة.

المطلب الثاني: التنبيه على ألفاظ لا ينبغي استخدامها:

من الأساليب الهادفة لتعديل السلوك اللفظي التي استخدمها القرآن الكريم أسلوب التنبيه على ألفاظ معينة، والمنع من جريانها على اللسان، وعلى هذا أمثلة كثيرة من أبرزها:

قوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[البقرة: ١٩٧]، يلاحظ هنا أن نفي الرفث من القول جاء مقترناً مع نفي الفسوق والجدال، "ويرجع النفي إلى وجوده مشروعاً لا إلى وجوده محسوساً"(٥٨)، على معنى أن النسك الصحيحة التامة لا يكون فيها مثل هذه الآفات، وإن كانت تحدث في الواقع، إلا أن اللفتة القرآنية توجه إلى الأرشد والأمثل في حرص المسلم على عدم التلبس بها.

وكون النكرة في (رفث) و(فسوق) و(جدال) جاءت في سياق النفي فإنها تفيد العموم، وعلى هذا فإن أي ملابسة لكلمة سوء أو تعرض لها منهي عنه غير مرغوب فيه، فينبغي الاحتياط في الألفاظ وتربية النفس على الإمساك عن الكلام المخل غير القويم.

+ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٤]، في هذه الآية نهي عن اعتياد الحلفان على الأشياء، قال السيوطي: "قيل: أراد به النهي عن كثرة الحلف؛ لأنه نوع جراءة على -الله تعالى- وابتذال لاسمه في كل حق وباطل"(٥٩).

ويؤخذ من هذا أن ترداد بعض الألفاظ على اللسان في الحق قد يكون أمراً غير محمود، وأن الذي يتمرس الكلام والحلفان يقل من العمل، ويصبح قوله أكثر من فعله، وفي هذا توجيه إلى أنه خير عادة أن لا يختار المرء عادة، لئلا يكون للأمر المعتاد عليه تبعات.

+ قوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[الحج: ٢٤]، يلاحظ هنا أن قوله تعالى: (من القول) قيد للطيب بالوصف، وهذا نوع منه، على أن الطيب يكون من العمل ومن الاعتقاد ومن غيره، والقول أحد أصنافه، وقد جعله القرآن غايةً مراده، وهي تحتاج إلى توفيق وهدايه، والهداية هنا -كما يظهر- توفيقية تحتاج إلى دربة وجد واجتهاد للوصول إليها، وهذا يعطي بعداً تربويا عميقاً؛ ذلك أن تحسين السلوك اللفظي يحتاج إلى بذل جهد وثبات وصبر واستقامة ليستقر في النفس خلقاً قويماً، وقد جاء الطيب من القول مقروناً بالهداية إلى صراط الحميد، مما يدل على أهميته وعلو منزلته.

وقد ذهب المفسرون إلى أن أعلى ما يكون من طيب القول كلمة التوحيد، قال البيضاوي: "وهو قولهم

الحمد لله الذي صدقنا وعده، أو كلمة التوحيد" (٦٠).

٣ قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠].

الزور: "من الزور، وهو: الانحراف، كما أن الإفك من الأفك، وهو: الصرف، فإن الكذب مصروف عن الواقع"(٦١).

في هذه الآية ملمح بلاغي وتربوي، حيث جاء النهي عن قول الزور بلفظ الاجتناب، وهذا يفيد المبالغة في التنفير من هذا السلوك اللفظي الشائن، لخطورته على المجتمع وآثاره السلبية في إضاعة الحقوق وتحريف الحقائق، وإذا كان الزور من الانحراف، فإن الانحراف في اللفظ والكلام يؤدي إلى انحراف في الشخصية والسلوك.

وقد ربط القرآن النهي عن اجتناب قول الزور بالنهي عن اجتناب الرجس من الأوثان؛ لأن الأوثان فيها انحراف في المعتقد، والزور انحراف في المنطق، وكلاهما له خطره وأثره السلبي على النفس والمجتمع.

وقد ذهب البيضاوي إلى أنه: "لما حث على تعظيم الحرمات، أتبعه ذلك رداً لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله- تعالى- بأنه حكم بذلك"(٦٢).

٤ قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[١٦: النور].

هذا توجيه رباني حري أن نتأمل في فحواه؛ ذلك أنه انطوى على تأديب وإرشاد تربوي في غاية الأهمية، وهو الأمر بظن الخير إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة، والمتأمل لكلمة (إذ) في الآية يلحظ أنها تفيد المسارعة والمبادرة إلى الظن بالخيرة خيراً، على معنى أنه بمجرد أن يطرق السمع شيء يمس أمثال هؤلاء الأبرار ينبغي على الفور أن يصدر من المرء ما يشعر بظن حسن، وقد جاء القرآن بنموذج لهذا وهو: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٦]، قال النسفي: "وفائدة تقديم الظرف: أنه كان الواجب عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به، فلما كان ذكر الوقت أهم قدم، والمعنى: هلا قلتم إذ سمعتم الإفك ما يصح لنا أن نتكلم بهذا"(٦٣).

فالمطلوب إذن: سرعة التفاعل مع الإشاعة والقول السيء، وذلك بدفعه عن النفس حتى لا يعلق بها شيء، وأن يبحث عن كلمة طيبة يدفع بها التهمة عن الآخرين، وأن لا يتفوه بشيء مما يقال لأحد، وعلى هذا ينبغي أن يكون لدى المرء جملة من الألفاظ والعبارات السوية السديدة يؤديها في وقتها بما يتناسب مع الموقف.

٥ قوله تعالى: ﴿كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور: ٥١].

في هذه الآية يبين الله ﷻ موقفاً للمؤمنين في حال أنهم إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم يبادرون إلى القول: سمعنا وأطعنا.

وهذه الآية ينبغي الوقوف عندها بتأمل وملاحظة دقيقة، فالأسلوب أسلوب حصر بكلمة (إنما)، على معنى: أن هذا القول ليس غيره في مثل هذا الموقف، وهو لا يتبدل ولا يطرأ عليه تعديل أو تغيير، فهو من الثبوت بمكان مكين.

وجاء التعبير عن القول في قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالإفراد الذي يفيد الجمع، على معنى أن هذا قولهم جميعاً، فكل واحد يقول ذلك؛ لأنهم يصدرون عن موقف واحد؛ ذلك أن المنطق السليم هو منطق العقلاء، فقولهم هذا عن رأي واحد ومنطق واحد، قائم على الحق، وهذا لا التواء فيه.

وكلمة السمع والطاعة هي مطلق الانصياع لأوامر الله ورسوله ﷺ، وفي هذا توجيه إلى أن الأمور المحسوسة المعروف خيرها ونفعها، يتوجب على الإنسان الاندفاع نحوها، والتلفظ بما يشعر بقبولها والإعلان عن إقراره بها، وهذا موقف سلوكي للكلمة المسؤولة، حيث يكون لها صيغة لفظية مناسبة.

وعلى هذا فإن حسن المنطق وأدب الألفاظ ينبغي أن يكون مطرداً دائماً ليس في حال دون حال.

+ قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾[البقرة: ٢٦٣].

+ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾[محمد: ٢١].

القول المعروف كلمة جامعة لمعاني الخير، والقول هنا نكرة موصوفة، وقد تخصصت بهذا الوصف، والقول المعروف مطلق متروك لتقدير المنطق الإنساني، فهو معروف بحسنه، معروف بطيبه، معروف بما يؤدي إليه، إذ فيه تطييب للخواطر، وتهدئة للعاطفة والشعور الإنساني، وعلى هذا فإن القول المعروف ممتد بأبعاد هذه الكلمة العريضة الواسعة.

وبالنظر إلى الآية يظهر أن القول المعروف مقترن بالطاعة المطلقة لله ورسوله؛ لما أن بينهما من الترابط، حيث إن القول المعروف يبتغى به وجه الله -تعالى-.

والمنظور إليه هنا هو أن القول المعروف مطلوب على عمومه في جميع الأحوال والظروف؛ لأنه في موضع الخبر، فتقدير الكلام: المطلوب طاعة وقول معروف، وهذا محط الفائدة ومصب الكلام.

وبالالتفات إلى موضع آخر في القرآن وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[النساء: ٥]، يُلحظ أن القول المعروف هنا ما يكون له تعلق بالموضوع الذي تتحدث عنه الآية، فهو قول معروف خاص لهؤلاء السفهاء الذين لا يحسنون التصرف في أموالهم، وهذا يظهر من تقديم الجار والمجرور (لهم)، وعلى هذا فإنه يستفاد من ذلك أن القول المعروف يؤخذ فيه بما يناسب الظرف والموقف، وينتخب منه ما يزيل ضيق الصدور وحرج النفوس، وما يناسب الأحوال والعقول، وبذلك يعرف من صاحبه قدرته على التعامل مع الآخرين، وفقهه بمدارك الناس وقُدَرهم.

المطلب الثالث: مبادلة الألفاظ:

من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في تعديل السلوك اللفظي أسلوب مبادلة الألفاظ؛ أي إبدال لفظ مكان آخر، وهو أسلوب تربوي إيجابي يعطي البديل ولا يقتصر على النهي عن إطلاق بعض الألفاظ فحسب، ومن الأمثلة على ذلك:

+ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

يوجه القرآن المؤمنين هنا إلى ضرورة انتقاء الألفاظ النزيهة، والابتعاد عن الكلام الموهم واللفظ الذي يرمي إلى غرض غير صحيح؛ إذ ربما تلقى بعض الألفاظ فتحمل على غير محملها الصحيح، وربما كان القصد وحده غير مجد في أمثال هذه الألفاظ، فمن أجل ذلك لا بد من التنبيه لطبيعة الكلمة قبل النطق بها، فكلمة (راعنا) إذا أطلقها المؤمنون عنوا بها خيراً، إذ هي كلمة ليس فيها ذم وقدح، لكن لأجل استعمالها عند اليهود حيث أرادوا بها معنىً فاسداً، أراد القرآن سداً للذريعة أن يختار المسلمون بديلاً أفضل لا يحتمل إلا الحسن، فقال: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾[البقرة: ١٠٤].

ويظهر بسبب النزول هذا المعنى جلياً، فقد "كان المسلمون إذا ألقي عليهم القرآن والشريعة يطلبون من النبي -عليه الصلاة والسلام- التأني حتى يفهموه، فيقولون له: راعنا يا رسول الله؛ أي لا تتحرج منا وأرفق بنا، وكان المنافقون من اليهود يشتمون النبي- عليه الصلاة والسلام- في خلواتهم سراً، وكانت لهم كلمة بالعبرانية تشبه كلمة (راعنا) بالعربية، ومعناها في العبرانية سب، وقيل معناها: لا سمعت، فقال بعضهم لبعض: كنا نسب محمداً سراً فأعلنوا به الآن، أو قالوا هذا وأرادوا به اسم فاعل من رعن إذا اتصف بالرعونة"(٦٤).

ويطلعنا ابن عاشور على السر البلاغي لاستبدال الكلمة، حيث يقول: "فقول المسلمين للنبي- عليه الصلاة والسلام- راعنا هو فعل طلب من الرعي بالمعنى المجازي، أي الرفق والمراقبة، أي لا تتحرج من طلبنا وأرفق بنا، وقوله (وقولوا انظرنا) أبدلهم بقولهم (راعنا) كلمةً تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف، والمقصود من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبي- عليه الصلاة والسلام- وهذا من أبدع البلاغة؛ فإن (نظر) في الحقيقة

بمعنى حرس، وصار مجازاً على تدبير المصالح، ومنه قول الفقهاء: هذا من النظر، والمقصود منه الرفق والمراقبة في التيسير، فيتعين أن قوله (انظرنا) بضم همزة الوصل وضم الظاء أنه من النظر لا من الانتظار"[٦٥].

وعلى هذا، فإن النية وحدها لا تكفي لتسويغ استعمال اللفظ ونطقه، بل لا بد من انتقاء ما يعبر عن الغرض الصحيح دون تمويه أو تضليل في المعنى.

٢ قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ٤٦].

هذا المقام مقام ذم لمن حرّف كلام الله –تعالى– عن مواضعه، وفوق ذلك يأتي بألفاظ لا تنم عن هدى ولا إتباع للحق أو انصياع له، فيذمهم القرآن على هذه الألفاظ ويرشدهم إلى بدائل أولى لهم وأوفق في الدلالة على الاتباع.

وهذا التبديل في الألفاظ مصحوب باستهزاء واستخفاف بالمخاطب، فهؤلاء القوم يحورون الكلم واللفظ عن موضعه ومقامه، والمراد: "أنهم يقولون لك: سمعنا وعند قومهم عصينا، ويقولون كذا وكذا، فيظهرون لك شيئاً ويبطنون خلاف ليّاً بألسنتهم، واللَّيُّ يكون بمعنى الانحراف والالتفات والانعطاف عن جهة إلى أخرى، ويكون بمعنى ضم إحدى طاقات الحبل على الأخرى، والمراد به هنا: إما صرف الكلام من جانب البشر، وإما ضم أحد الأمرين إلى الآخر"[٦٦].

ويلاحظ أن مبادلة الألفاظ جاءت على النحو الآتي:

اللفظ المستبدل: سمعنا وعصينا، واللفظ البديل له: سمعنا وأطعنا، اللفظ المستبدل: اسمع غير مسمع، واللفظ البديل له: اسمع وانظرنا، وهذا اللفظ البديل مقرون بنتائجه "لكان خيراً لهم وأقوم"، ومعنى هذا: أن الألفاظ التي استعملوها لا خير فيها؛ حيث يعتريها الالتواء والانحراف، وهذه الألفاظ الملتوية ليس الانحراف فيها منحصراً في دائرة اللفظ والمعنى والمقاصد، بل منسحبة إلى انحراف الشخصية والتواء السلوك الإنساني، حيث تفضي إلى الغموض والتعمية وعدم الوضوح في المنطق والمسلك، وعلى هذا أراد القرآن تجنب التلاعب في الكلمة وفتل اللسان وتحوير المنطق، إذ الكلام مفتاح المعاني، وحتى تكون المعاني سليمةً قويمةً لا بد من لفظ مشعر بسلامتها وصحتها.

٣ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة: ٦١].

هناك أنواع كثيرة للأذى، من أشدها الأذى بالألفاظ المبطنة، والكلمات المتسعة لأنواع الغمز، والإنقاص من القدر، ومن هذه الكلمات كلمة (أذن) التي يراد بها: أن صاحبها يلقي بهذه الجارحة لكل خبر فيصدقه دون تدبر أو وعي، وقد حاول بعض المنافقين أن يصف النبي ﷺ بها، لكن الله –تعالى– تولى الدفاع عن نبيه مبيناً أن هذا النبي أذن في الخير والرحمة، وهذا خير للذين آمنوا، قال أبو السعود في قوله تعالى ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾: "كأنه قيل: نعم، هو أذن، ولكن نِعم الأذن، ويجوز أن يكون المراد أذناً في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك"[٦٧].

ويؤخذ من هذا أن المطلوب الإصغاء إلى المفيد من الكلام، لا أن يلقي الإنسان سمعه إلى كل شاردة وواردة، فهذا هدر للوقت ومضيعة للفائدة.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ "من صيغ التشبيه؛ أي كالأذن في تلقي المسموعات لا يرد منها شيئاً، وهو كناية عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود"[٦٨].

وكون كلمة (أذن) جاءت نكرةً على لسان أولئك المنافقين، فإنها تفيد التهوين من شأن النبي ﷺ والتقليل من قدره عند المنافقين، وقد جاء الرد بتقييدها بالإضافة

(أذن خير)، فالقرآن يتتبع اللفظة، ويجعل لها قيداً احترازياً، وفي هذا رفع لمقام النبي- عليه الصلاة والسلام- وإعلاء لقدره الشريف، وقد جاءت أوصاف عقب ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾، وهي تؤكد ما في هذا القيد من المعنى والمقصد.

وعلى هذا فإن بعض الكلمات ينبغي أن لا تلفظ على إطلاقها، بل لا بد من قيد يقيدها لتؤدي المعنى الحسن، والمطلوب الاحتراز في نطق الكلمة وتفحصها حتى لا تزل بها القدم.

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ١٤].

في هذه الآية الكريمة تصحيح لمفهوم لم يطابق الواقع، فقد قال بعض الأعراب حين دخلوا في الإسلام دخولاً من غير بصيرة، حيث أسلموا خوفاً لا عن اعتقاد، قالوا: آمنا، وهذه الكلمة ليست هي التعبير الصادق عن حالهم، فوجههم القرآن إلى استعمال كلمة تناسب الحال وتطابق الواقع.

قال ابن كثير: "يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، ويدل عليه حديث جبريل[٦٩] (عليه السلام)، حين سأل عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، فترقى من الأعم إلى الأخص، ثم للأخص منه"[٧٠].

وقال الشوكاني: "وقد أوضح الفرق رسول الله ﷺ بين الإسلام والإيمان في الحديث في الصحيحين، وغيرهما الثابت من طرق أنه سئل عن الإسلام، فقال: «أن تشهد أن لا إله إلاَّ الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج البيت، وتصوم رمضان»، وسئل عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره»، فالمرجع في الفرق بينهما هو هذا الذي قاله الصادق المصدوق، ولا التفات إلى غيره مما قاله أهل العلم في رسم كل واحد منهما برسوم مضطربة مختلفة مختلة متناقضة، وأما ما في الكتاب العزيز من اختلاف مواضع استعمال الإسلام والإيمان، فذلك باعتبار المعاني اللغوية والاستعمالات العربية، والواجب تقديم الحقيقة الشرعية على اللغوية، والحقيقة الشرعية هي هذه التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ، وأجاب سؤال السائل له عن ذلك بها[٧١].

ويلاحظ أن التعبير (قولوا أسلمنا) فيه عدول عن أن يقال: ولكن أسلمتم "تعريضاً بوجوب الصدق في القول ليطابق الواقع، فهم يشعرون بأن كذبهم قد ظهر، وذلك مما يتعير به، أيك الشأن أن يقولوا قولاً صادقاً للنبي ﷺ"[٧٢].

والذي يؤخذ من هذا أن على الإنسان أن يعبر عن أحواله بألفاظ تطابق الحال والواقع، وأن تقع الكلمة على المفهوم الصحيح، وإلا عد ذلك مزلةً من صاحبها، وعدولاً عن الصواب ومجانبةً للحق.

وهكذا طوفت بنا آيات الكتاب العزيز في أساليب حكيمة متنوعة في تعديل السلوك اللفظي، وكانت تلك النماذج على سبيل المثال لا الحصر، وإلا فالأمثلة كثيرة، والقرآن كما هو معلوم لا يخلق على كثرة الترداد، وهو معين لا ينضب.

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فمن خلال ما تم عرضه في تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم، وما تناوله البحث من جوانب علمية في هذا الإطار، فإنه يمكن أن يُذكر هنا أبرز النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها، وهي على النحو الآتي:

أ) النتائج:

أولاً: تعديل السلوك اللفظي:هو إحداث تغيير هادف فيما يصدر عن الإنسان من كلام وفق مرجعية خاصة، ويكون التغيير إما بالتعليم المباشر، أو التنبيه على ألفاظ، أو مبادلة ألفاظ مكان أخرى.

ثانياً: أشار القرآن الكريم إلى أن السلوك الإنساني قابل للتعديل، ودليل ذلك فتح باب التوبة للنادمين، ومنح الفرصة للعاصين للعودة إلى دين الله- تعالى .

ثالثاً: من أهم أهداف تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم:

أ. حسن الأدب مع النبي ﷺ.
ب. الإرشاد إلى استخدام الألفاظ الدقيقة المعبرة عن الحقيقة.
ج. إتمام العبادة من دون نقص أو خلل.
د. حسن الخلق في التعامل مع الناس.
هـ. التمتع بالصحة النفسية.
و. نشر الدعوة الإسلامية.

رابعاً: الفئات التي تناولها تعديل السلوك اللفظي في القرآن الكريم هي: فئة المكلفين والمنافقين والكفار.

خامساً: سلك القرآن الكريم أساليب عدة لتعديل السلوك اللفظي، منها:الأسلوب المباشر، والتنبيه على ألفاظ لا ينبغي استخدامها، ومبادلة الألفاظ.

ففي الأسلوب المباشر:ينص القرآن الكريم صراحةً على وجوب أن يكون اللفظ الصادر من المكلف حسناً، حيث جاء ذلك في آيات كثيرة، والمقصد من هذا: تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة وإلانة القول؛ لأن القول ينم عن المقاصد، فأمر القرآن بأن نقول للناس حسناً، وأن نقول التي هي أحسن، وأن نقول المعروف، وأمر بالكلمة الطيبة، وأن نعدل في القول، وأمر بالاستعاذة من الشيطان؛ للشفاء من وساوس النفس، وأرشد إلى أن نقول خيراً، ونهى عن اللفظ النابي، وأمر أن نقول للوالدين إحساناً، وأن نقول لهما قولاً ميسوراً، إلى غير ذلك من الأساليب المباشرة التي ترفع من سوية اللفظ الإنساني بما ينم عن خلق قويم.

وفي إطار التنبيه على ألفاظ لا ينبغي استخدامها: نبه القرآن على ألفاظ معينة، ومنع من جريانها على اللسان، فنهى عن الرفث والفسوق والعصيان، حيث ينبغي الاحتياط في الألفاظ، وتربية النفس على الإمساك عن الكلام المخل غير القويم، ونهى عن أن نردد الحلفان على اللسان؛ لأنه نوع جراءة على الله -تعالى ، ونهى كذلك عن قول الزور، الذي يكون فيه تحريف الحقائق، وربطه بالنهي عن الرجس من الأوثان؛ لأن الأوثان فيها انحراف في المعتقد، والزور فيه انحراف في المنطق، وكلاهما له خطره وأثره السلبي على النفس والمجتمع.

ونهى كذلك عن خوض اللسان في الإشاعات بين الناس، وأرشد إلى الأمثل؛ حيث يظن المسلم بأخيه المسلم الظن الحسن، وينطق بما هو خير، لا أن يطلق لسانه كيفما اتفق.

وفي إطار مبادلة الألفاظ: استخدم القرآن أسلوب مبادلة الألفاظ؛ أي: إبدال لفظ مكان آخر، وهو أسلوب تربوي يعطي البديل، ولا يقتصر على النهي عن إطلاق بعض الألفاظ فحسب، فنهى عن أن يقول المسلمون كلمة "راعنا" التي توهم معنى الرعونة، وأعطى بديلاً لها هو: "انظرنا" من باب سد الذريعة؛ ليختار المسلمون بديلاً أفضل لا يحتمل إلا الحسن.

ونهى الأعراب أن يقولوا "آمنا"، وأعطى بديلاً يناسب أحوالهم "ولكن قولوا أسلمنا"؛ لأنهم ما زالوا في بداية إسلامهم، ولم يترجموا هذا إلى عمل يتحقق فيه إيمانهم، وفي هذا تصحيح للمفاهيم، ووضع للأمور في ميزانها الدقيق.

سادساً: التنويع في أسلوب التعديل أفضل من الاقتصار على أسلوب واحد كما دلت على ذلك الآيات الكريمات.

ب) التوصيات:

توصي الدراسة بالآتي:

١. أن يكون هناك مزيد بحث في كتاب الله تعالى فيما يتعلق بالدراسات النفسية والتربوية؛ فهو مليء

بالكنوز الثمينة.

٢. البحث في كتاب الله -تعالى- بعقلية الباحث المتبصر المنصف، وليس بعقلية المقلد صاحب الأفكار المسبقة.

٣. ينبغي على المربين والباحثين أن يستلهموا أساليب القرآن الكريم في تعديل السلوك الإنساني بشكل عام واللفظي بشكل خاص.

والله الموفق، وهو هادي السبيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش:

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور، القاهرة، دار عباس الشربتلي، ١٩٨٢م، (ط٢)، ج٤، ص١٥٩١.

(٢) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، بيروت، دار الفكر، بدون طبعة، ج١، ص٤٤.

(٣) محمد بن يعقوب الفيرزأبادي، **القاموس المحيط**، بيروت، دار الكتب العلمية، ، ١٩٥٩، (ط١)، ج٣، ص٤١٨.

(٤) عماد السعدي، **دراسة في تعديل أنماط من السلوك الصفي**، رسالة دكتوراه غير منشورة، تونس، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، ص١١.

(٥) السعدي، **المرجع السابق**، ص١١.

(٦) رمضان القذافي، **علم النفس الإسلامي**، صحيفة الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٩٩٠م، (ط١)، ص١٧.

(٧) يوسف بدوي، **تهذيب الخلق الإسلامي الكامل**، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٩٩م، بدون طبعة، ص٢٥٢.

(٨) الحسين جلو، **أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم**، دمشق، دار العلوم الإنسانية، ١٩٩٤، (ط١)، ص٣٨.

(٩) عطية الله أحمد، **القاموس الإسلامي**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م، بدون طبعة، ج٣، ص٤٤٦.

(١٠) محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (ط١)، ج٧، ص٤٦١.

(١١) خليل معوض، **علم النفس العام**، مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠١م، (ط١)، ص١٦.

(١٢) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص٤٣٢.

(١٣) الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٥، ص١٧٦١.

(١٤) جمال الخطيب، **تعديل السلوك الإنساني**، عمان، ١٩٩٤م، (ط٣)، ص٣+ ١٤.

(١٥) **المرجع السابق**، ص١٤.

(١٦) **المرجع السابق**، ص١٥.

(١٧) **المرجع السابق**، ص١٦.

(١٨) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي هل يصلى عليه رقم الحديث: ١٢٩٢، ج١، ص٤٥٦.

(١٩) العيسوي، **الإسلام والعلاج النفسي**، ص٨٢+ ١٨٣.

(٢٠) رواه مسلم، **صحيح مسلم**، ج٢، ص١٣٣، حديث رقم ٤٢٩.

(٢١) يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، مصر، مكتبة وهبة، ١٩٨١م، (ط١)، ص١٢٤.

(٢٢) رواه أحمد، أحمد بن الحسن الشيباني، **مسند أحمد**، ج١٨، ص١٣٧، رقم الحديث: ٨٥٩٥، صححه الألباني، انظر: **مختصر السلسلة الصحيحة**، حديث رقم ٤٥.

(٢٣) القذافي، **علم النفس الإسلامي**، ص٢٤.

(٢٤) راواه الطبراني، **المعجم الكبير**، ج٢٠، ص٢٥٨، حديث رقم ١٧٦٣، حسنه الألباني، انظر: **مختصر السلسلة الصحيحة**، حديث رقم ٣٤٢.

(٢٥) محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ج١، ص٦٥٠.

(٢٦) عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠)، **مدارك التنزيل** وحقائق التأويل، ضبطه: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، (ط١)، ج٢، ص٣١٩ ٣٢٠.

(٢٧) محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٥٥)، **إحياء علوم الدين**، بيروت، دار الجيل، بدون طبعة، ج٢، ص٣٧٩.

(٢٨) أبو الثناء محمود بن عبد الله الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة، ج٢، ص٩.

(٢٩) انظر: فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦)، **التفسير الكبير**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، (ط١)، ج١٥/٣، ص١٥٤. سيد قطب، في ظلال القرآن جدة، دار العلم للطباعة و النشر، جدة، ١٩٨٦م، (ط١٢)، ج١، ص٨١. ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، طبعة مصورة دون تاريخ، ٥٨٣/١. محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، بيروت، دار المعرفة، (ط٢)، ج١، ص٣٦٨.

(٣٠) سيد قطب، الظلال، ج٤، ص٢٢٣٤.

(٣١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥، ص١٣٢.

(٣٢) سيد قطب، الظلال، ج١، ص٣٠.

(٣٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٣، ص٤٣.

(٣٤) انظر الرازي، **التفسير الكبير**، ج٧، ص٤.

(٣٥) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص١٥١٤. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٢٤٣.

(٣٦) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٩، ص٨٢.

(٣٧) انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣٨) انظر ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٤، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

(٣٩) سيد قطب، الظلال، ج٣، ص١٢٣٣ بتصرف.

(٤٠) انظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٣، ص١٩٣.

(٤١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، الرياض، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٤هـ، ج٢، ص٥٠١ ـ ٥٠٢.

(٤٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٨، ص١٦٦.

(٤٣) انظر: محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، ج٩، ص٥٤١. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٩، ص٢٣٠.

(٤٤) الرازي، **التفسير الكبير**، ج١٥، ص٨٠.

(٤٥) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢١٦٩. وابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٤، ص١٤.

(٤٦) انظر: محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨)، **الكشاف عن حقائق التأويل**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م، (ط١)، ج٢، ص٤٠٧.

(٤٧) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٢١. والسعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ج٤، ص٢٧٠ ـ ٢٧١.

(٤٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥، ص٨٣. وانظر: الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٠، ص١٥٥.

(٤٩) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٣٣٦.

(٥٠) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص٢٢٥.

(٥١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٤٦٦.

(٥٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٥٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٢٩٦ ـ ٣٢٩٧.

(٥٤) الرازي، **التفسير الكبير**، ج٢٨، ص٩٧.

(٥٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٦، ص٣٥٠٦.

(٥٦) أحمد بن حنبل الشيباني، **مسند أحمد**، القاهرة، مؤسسة قرطبة، دون طبعة، رقم الحديث: ٢٤٢٤١، ج٦، ص٤٦.

(٥٧) إسماعيل بن كثير الدشقي (ت ٧٧٤)، **تفسير القرآن العظيم**، دمشق، دار الفيحاء، ١٩٩٤م، (ط١)، ج٤، ص٤٠٨.

(٥٨) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، بدون طبعة، ج١، ص٤٠٧. وانظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق. د. محمود القيسية، مؤسسة النداء، أبو ظبي، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م، (ط١)، ج٣، ص٣٢٢.

(٥٩) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١)، **الإكليل في استنباط التنزيل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، (ط٢)، ص٥٢.

(٦٠)عبد الله بن عمر البيضاو ي (ت ٧٩١)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل وبهامشه حاشية الكازروني**، بيروت، مؤسسة شعبان، بدون طبعة، ج٣، ص٥٤.

(٦١) *المصدر نفسه*، ج٤، ص٤.

(٦٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل وبهامشه حاشية الكازروني**، ج٤، ص٥٤.

(٦٣) النسفي، عبد الله بن أحمد، **مدارك التنزيل**، ج٢، ص١٥٤.

(٦٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١، ص٦٥٠.

(٦٥) *المصدر نفسه*، ج١، ص٦٥١.

(٦٦) الآلوسي، **روح المعاني**، ج٥، ص٤٨.

(٦٧) محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م، (ط٤)، ج٤، ص٧٧.

(٦٨) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٠، ص٢٤٢.

(٦٩) محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٧م، (ط١)، ج١، ص١٩.

(٧٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج٤، ص٢٧٩.

(٧١) الشوكاني، محمد بن علي، **فتح القدير**، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣، بدون طبعة، ج٧، ص٤٧.

(٧٢) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٦، ص٢٥٦.